المقتبس

الجزء السابع من المجلد الثالث

رجب سنة ١٣٢٦ موافق اغسطس (آب) سنة ١٩٠٨

غرائب القصاص

لعل بعض النفوس تتأذى بقراءة هذا الموضوع لانه يدور على القتل في ازهاق الارواح على انه لا بأس بشيء من القسوة يقوون بها قلوبهم للنظر فيه . وقد مرّ على البشر حين كان الاوربيون بعد الحروب الصليبية يستعملون من اساليب القتل كل غريب عجيب وخصوصاً في عهد ديوان التفتيش الديني في البلاد الاسبانية البرتغالية حتى اذا كانت سنة ١٧٩٢ ادخلت بعض البلاد . لا سيما فرنسا عن ايطاليا استعمال آلة تدعى المقصلة ([illegible]) تحز رأس المجرم في اقل من ثانية واحدة . وبطلت هذه العادات وما جرى دونها ثم اخذت بعض بلاد الغرب ولا سيما الولايات المتحدة تعمد الى اصعاق المجرمين بها . ولكن تبين مؤخراً ان المصعوق باجرائه مجرى كهربائي عليه لا يقتل في الحال بل يقاسي اشد العذاب عقيب اصعاقه ولا تزهق روحه حقيقة الا بعد ان تشرح جثته .

وقد قامت الدكتورة روزنماتس وحملت حملة منكرة على القتل بالكهربائية قالت وان كان ولا بد من استعمال هذه الطريقة الرهيبة فلا اقل من ان يكون فيها شيء من روح الانسانية بمضاعفة القوة الكهربائية خمسة اضعاف ما يجري الآن ليتم القتل في اقل من لحظة وقد جربت هذه الطريقة في الارانب فوقع الاستحسان عليها واحداً تستعمونها ولكن في عقاب المجرمين والاعضاء الموبوءة من الناس السلم الآدمي من غرور الاشرار

وبعد فانه منذ البشر منذ عرف الاجتماع يقتل كبيرهم صغيرهم . وكل قوي يفتك بضعيفهم

ـماك في الشارع في لحظة واحدة بمثل ودبس القروض بعضهم بعضاً وآخر تقوده وقبيلة رعاقهم بالموت . اخترعوا الى الوصول اليه طرقاً قد ترتعش لبشاعة أبصارها اليوم الاعصاب وتارتع الشرقيين والغربيين على حوار واحد من هذا القبيل ترى كلماتحت صفائح دماء ابرياء تمج من حور الانوية . على الصعداء تملئة حقان السماء وتمثل الهيكل الادمي في ذلك كاسمان منبسط في الاستواء فلا يختلف شرق عن غرب او اسود عن ابيض

ثم خنق او حرق الى شنق الى ضرب بالعصي والاكف ورمي بالنبال وهبر بالسيف ودمر بالرمح والحراب والقذائف والبارود والديناميت الى سمر واجاعة وحز رؤوس وبقر بطون وسمل عيون واستلال لسان وصل آذان وشتر شفاه وقصقصة اعضاء وجدع الاكف وقطع الايدي والرجل والكل الى غير ذلك مما يرجع الى معنى واحد الا وهو الازهاق في العقوبة وبلوغ النهاية باحيه الى ما يقال له الموت . وكما ان للموت عشرات من المترادفات في العربية كذلك نجد في كل لغة الفاظاً تدل على تلك العمليات التي تهدم الهيكل الانساني وتطوي سراج الحياة .

وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التعذيب والتمثيل ومشى بعض الخلفاء على هديه زمناً ولكن كان بعض اهل الصدر الاول يرجعون الى التوحش وارضاء الشهوات الشخصية فلا يدخرون وسعاً اذا ظفروا بعدائهم في ان يصبوا عليهم سوط العذاب فكان معاوية بن ابي سفيان اول من نهج هذا الطريق كما ابتدع بدعاً كثيرة اتى بها على غير مثال احتذاه ممن سلفه فقد ذكر المقريزي انه كان يقرب ابن اثال الطبيب منه ويتفقده كثيراً لانه كان خبيراً بتركيب الادوية ومنها السموم فواثل حتى مات في ايامه كثير من اكابر الناس والامراء المنتمين بالسم وممن قتل في هذا ايامه عبدالله بن عمر عمدوا اليه من رماه بسهم مسموم في عقبه . والتاريخ طافح بما قام به من ضروب التنكيل والتمثيل وكذلك فعل بعض من عقدوا دولته من بعده .

ولقد قتل بنو العباس الأمويين بعض ما عاملوا به غيرهم وتحقق بالنماذج قول سديف في وصف بعض بني امية لما ذهب ملكهم :

لا يغرنك ما ترى من رجال ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا

قال ابن الاثير ودخل شبل بن عبدالله مولى بني هاشم على عبدالله بن علي وعنده من بني امية نحو تسعين رجلاً على الطعام فاقبل عليه شبل فقال

اصبح الملك ثابت الآساس بالبهاليل من بني العباس

طلبوا وتر هاشم فشفوها بعد ميل من الزمان وياس
لا تقيلن عبد شمس عثارا واقطعن كل رقلة وغراس
ذلها أظهر التودد منها وبها منكم كحز المواسي
ولقد غاظني وغاظ سوائي قربهم من نمارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والإتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أضحى ثاويا بين غربة وتناسي

فأمر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد وبسط عليهم الأنطاع فأكل الطعام عليها وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا

وأمر عبد الله بن علي بنبش قبور بني أمية في الشام فنبش قبر معاوية بن أبي سفيان فلم يجدوا فيه إلا خيطا مثل الهباء ونبش قبر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فوجدوا فيه حطاما كأنه الرماد ونبش قبر عبد الملك بن مروان فوجدوا جمجمته وكان لا يوجد في القبر إلا العضو بعد العضو غير هشام بن عبد الملك فإنه وجد صحيحا لم يبل منه إلا أرنبة أنفه فضربه بالسياط وصلبه وحرقه وذراه في الريح وتتبع بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم فأخذهم ولم يفلت منهم إلا رضيع أو من هرب إلى الأندلس . وقتل سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بالبصرة جماعة من بني أمية عليهم الثياب الموشية وأمر بهم فجروا بأرجلهم وألقوا على الطريق فأكلتهم الكلاب

وفي مروج الذهب أن الهيثم بن عدي روى عن عمرو بن هانئ الطائي قال : خرجت مع عبد الله بن علي لنبش قبور بني أمية في أيام أبي العباس السفاح فانتهينا إلى قبر هشام بن عبد الملك فاستخرجناه صحيحا ما فقدنا منه إلا عرنبة أنفه فضربه عبد الله ثمانين سوطا ثم أحرقه واستخرجنا سليمان بن عبد الملك من أرض دابق فلم نجد منه شيئا إلا صلبه وأضلاعه ورأسه فأحرقناه وفعلنا ذلك بغيرهما من بني أمية وكانت قبورهم بقنسرين ثم انتهينا إلى دمشق فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك فما وجدنا في قبره لا قليلا ولا كثيرا واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا إلا شؤون رأسه ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا فيه إلا عظما واحدا ووجدنا مع لحده خطا أسود كأنما خط بالرماد بالطول في لحده ثم تتبعنا قبورهم في جميع البلدان فأحرقنا ما وجدنا فيها منهم . وكان سبب فعل عبد الله ببني أمية هذا الفعل أن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حدثته نفسه في طلب الخلافة [illegible]
[illegible]

وجعلوا على قبره الثياب والحشيش واجروا الماء على ذلك فدل يوسف على موضع قبره فاستخرجه وبعث رأسه الى هشام فكتب اليه هشام ان اصلبه عريانا وابن تحت خشبته عمودا ثم كتب هشام الى يوسف يأمره باحراقه وتذريته في الرياح فكان ذلك .

وهكذا تجد ضروباً من المنية في تاريخ هذا القسم الصغير من الارض فقد قتل ابو الجيش احمد بن طولون اخاه المسمى بالامين خنقاً بالمعمي حتى مات · وقتل نصر بن احمد صاحب خراسان اخاه زكريا بعصر خصاه · وقتلت ام خالد بن يزيد بن معاوية زوجها مروان بن الحكم ابو عبد الملك بان امرت خدمها ان يقعدن الخاد على فمه حتى مات · وكم من رجل سُم في كاس او رمي الزئبق في اذنه او فصد بمبضع مسموم قيل ان احمد بن الموفق ابن اخي المعتمد بن المتوكل قتل عمه في حفرة ملأها له من ريش ورماه فيها فمات بها · وقتل الشهاب السهروردي خوفاً واتي ربيع الدين الحنبلي من اهل معرة في شباك تعلق في بعض جوانبه فبقي المباشرون ذلك يسمعون انينه نحو ثلاثة ايام وندب اعوانه وكان قاضي قضاة دمشق

ولما غضب الراضي على الوزير ابي علي بن مقلة سلمه الى الوزير ابي علي عبد الرحمن بن عيسى فضربه بالمقارع واخذ خطه بالف الف دينار فجرت عليه منه من المكاره والتعليق والضرب والوهق امر عظيم وقطعت يده اليمنى وكان يقول في محبسه يد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة خلفاء وكتبت بها القرآن دفعتين تقطع كما تقطع ايدي اللصوص ثم زيد في امتهانه وجعل في محبس وقطع لسانه

ولما خرج مصعب بن الزبير في عهد عبد الملك بن مروان في العراق سنة ٧١ ورأى تحيز جموع عبد الملك ارسل اليهم فسبهم وسبهم قال ابن جرير ثم ضربهم مائة مائة وحلق رؤوسهم ولحاهم وهدم دورهم وصيرهم في الشمس ثلاثاً وحملهم على طلاق نسائهم وجمر اولادهم في البعوث وطاف بهم في اقطار البصرة واحلفهم ان لا ينكحوا الحرائر

ولما دخل مراكش مأمون الموحدين ادريس بن يعقوب امر بتقليد امرائها بالرؤوس فصمها على التاج الناحة · ولما استولى الحر بن يسار واحدوا الا بدمجي الذين الحبسا عرانا وصبوا في فمه التراب حتى مات · وقبض عز الدولة بن بويه على وزيره ابن بقية وجعل عرضها . مات عضد الدولة فلفه والقاه تحت ارجل الفيلة فلما قتل صلبه · وكان الوزير ابن الزيات قد اتخذ تنوراً من حديد واطرافه مسامير المحددة الى داخل وهي قائمة مثل رؤوس المسال في ايام وزارته وكان يعذب فيه المصادرين وارباب الدواوين المطلوبين

بالاموال فكلما انقلب واحد منهم او تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه فيجدون ثلاث امد الا وفرّ بقيه احد الى هذه الميتة وكان اذا قال له احد منهم ايها الوزير ارحمي يقول له الرحمة خور في الطبيعة فلما اعتقله المتوكل امر بادخاله في التنور وقيده بخمسة عشر رطلا من الحديد فقال يا امير المؤمنين ارحمي فقال له الرحمة خور في الطبيعة كما كان يقول للناس قاله ابن خلكان

ولما استولى ابو عبد الله الشيخ على فاس سنة ٩٦٠ قتل الفقيه ابا محمد الزقاق ... في حرور ويحكى انه قتل ابو محمد بن بديه قال له اختر اي شيء تموت فقال له الفقيه اختر انت لنفسك فان المرء مقتول بما قتل به فقال لهم السلطان اقطعوا رأسه بالشاقور فيكون من حكمة الله وعدله في حقه ان قتل هذا السلطان به بعينه قاله في الاستقصا وقال فيه ايضا لما كان من السلطان ابي عبد الله الشيخ ما كان من غزوه تلمسان مرتين وكان يحدث نفسه بمعاودة غزو تلك البلاد جرت المكاتبة بينه وبين حكومة السلطان سليمان وتم بالتزام الادب الشيء الذي رأي اوزراء على ان عينوا اثني عشر رجلا من فتاك الترك وبذلوا لهم اثني عشر الف دينار لاغتيال الشيخ فساروا حتى وصلوا اليه فقتلوا بخدمته ثم اغتالوه وصيروا رأسه بشاقور ووضعوه في مخلاة فاوصلوا الرأس الى الصدر الاعظم وادخله على السلطان وامر به ان يجعل في شبكة نحاس ويعلق على باب القلعة فبقي هنالك الى ان شفع في ازالته ودفنه ابنه عبد الملك المعتصم واحمد المنصور

ومما روى لسان الدين بن الخطيب من مقاطعة محمد بن محمد بن يوسف ثالث الملوك من بني نصر انه عمد لاول امره الى طائفة من مماليك ابيه كان سيء الرأي فيهم فصيرهم في مطبق الاري من حمرائه وامسك ما لهم قبله عنده ونهى من يرفقهم بقوت فاستمر ذلك بالمطبق وطارت اصواتهم بشكوى الجوع حتى هلكت ضعفا بعد ان اقتات آخرهم بوقاعهم من ميتته وحملت الشفقة حارسا كان برأس المطبق على ان طرح لهم خبزا يسيرا تنقص اكله مع مباشرة الجرائم فنمي اليه ذلك وامر بقتله على حافة الجب فسال عليهم دمه قال ابن الخطيب فكانت مصارع السوء وما زالت الدماء تحاجمه والله عز وجل حسيبه

وقال يوسف بن عمر الثقفي امير العراقين خالد بن عبد الله القسري على طريقة قريبة لما اله وقتلها ... ثم امر فوضع على صدره الخشب الى ساقيه وتسيطوا حتى انقصفت اضلاعه ... فمات وقال الفرزدق

دخل السلطان ابو الحسن سجلماسة عنوة على اخيه السلطان ابي علي عمر سنة ٧٣٤ وطاف به في اكثر فاس ثم قتله بالفصد والخنق

وقد كان رؤساء الناس وولاة الامر منهم هم الذين لا يبالون بازهاق النفوس وازهاق الارواح وكثيراً ما يكون ذلك لغير سبب سوى النزق والطيش والبطر وكان بعضهم يلتذ باراقة الدماء مثل المعتضد بالله العبادي احد ملوك الاندلس الذي دانت له الملوك من جميع اقطارها وكان قد اتخذ خشباً في ساحة قصره جللها برؤوس الملوك والرؤساء عوضاً عن الاشجار التي تكون في القصور وكان يقول في مثل هذا البستان فليتنزه . وهو من الملوك الذين غلب التاريخ والادب خصوصاً بعد ان قتل ابنه واكبر ولده المرشح للولاية عهده صبراً لانه كان يريد الوثبة به

قال صاحب المعجب وكان المعتضد بالله ابن عباد احد ثوار الاندلس [illegible] ومن اخبثهم اثراً جمع خزانة مملوءة برؤوس الملوك الذين ابادهم وكانت وفاته سنة احدى وستين واربعمائة

وفي رواية المقري ان بني الاحمر لما ظفروا باعدائهم من ملوك الافرنج في الاندلس اخذوا ابن طرة وحشوا جسده قطناً وعلق على باب غرناطة وبقي معلقاً سنوات . ذكر ابن سعيد ان البشر قتلوا الملك مسعر فقطر . حشوا جلده تبناً وجعلوه في احد الاعلام على عادتهم في كتاف الملوك . ولما قتل مروان بن محمد الاموي اختفى عبد الحميد الكاتب الخبير ثم عثر عليه فاخذ ودفعه ابو العباس السفاح الى عبد الجبار بن عبد الرحمن صاحب شرطته فكان يحمي له طستاً بالنار ويضعه على رأسه حتى مات . وقيل ان ابن المقفع قتله امير البصرة بامر المنصور ان حرقه في تنور

وحدث ابو الحسن الملك العادل سيف الدين وزير الظافر العبيدي قبل وزارته زمانه على الموفق ابي الكرم بن معصوم التنيسي وكان متولي الديوان فشكا اليه حاله من غرامة لزمته بسبب تفريط في شيء من لوازم الولاية بالغربية فلما اطال عليه الكلام قال له ابو الكرم والله ان كلامك ما يدخل في اذني فحقد عليه فلما ترقى الى درجة الوزارة طلبه فخاف منه واستتر مرة ثم دل عليه في البلد وهدر دم من خبأه فاخرجه الذي خبأه عنده فخرج في زي امرأة بازار وخف واحد وحمل الى العادل فامر باحضار لوح من خشب ومسمار طويل والقي على جنبه وطرح اللوح تحت اذنه ثم ضرب المسمار في الاذن الاخرى فصار كلما صرخ يقول له العادل دخل كلامي في اذنك بعد ام لا ولم يزل كذلك حتى نفذ المسمار من الاذن الاخرى الى اللوح ثم عطف المسمار على اللوح ويقال انه قطعه بعد ذلك

ويروى التاريخ من اخبار من قتلوا بكثيرهم بالسيف اعجب ومن البسالة ما لا يكاد يصدق لان اهل الاقدام كانوا يأنفون الموت في الزحف ويخافون من الوقوع في ايدي اعدائهم الا قتلوا بهم فقد جاء عبدالله بن الزبير الى امه اسماء ذات النطاقين لما خذله اصحابه في مكة فقال ما ترين يا امه فقد خذلني الناس فقالت لا يلعب بك صبيان بني امية عش كريماً او مت كريماً فقال اخشى ان يمثل بي بعد الموت فقالت له ان الشاة لا تألم للسلخ بعد الذبح فقبل بين عينيها وودعها وخرج يقاتل الى ان كان من امره ما كان .

وقلب باسيل الثاني الملقب بقاتل البلغار بعد حرب ٣٧ سنة مملكة بلغاريا ومقدونيه سنة ١٠١٨ واسر خمسة عشر الف بلغاري وسمل عيونهم . وكان ابو عبد الله احمد بن ابراهيم النديم خصيصاً بالمتوكل ونديماً له فغضب عليه المتوكل فامر بقطع اذنه فقطعت من غضروفها من الخارج .

واستعمل القتل بوضع من يراد قتله تحت ارجل الفيلة كما امر احد بني بويه بابي اسحق الصابي لما غضب عليه ان يجعل تحت ارجل الفيلة ولكنهم شفعوا به لديه . وكانوا يقتلون من يريدون قتله ايضاً في ذنب الخيل ويجرونها كما فعل اردشير بنصيرة ابنة الساطرون اذ امر بها فربطت قرون رأسها بذنب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها .

ومما ذكر في قانون الصين من انواع القتل المعروف عندهم بالتشريح وتقطيع الاعضاء اربا اربا وصفته ان يشد الذي يراد به ذلك بين خشبتين قائمتين ويربط يداه ورجلاه ووسطه ربطاً محكماً ثم تحز انامله واصابعه انملة انملة وعقدة عقدة ثم تفصل يداه من الرسغين ثم من المرفقين ثم من الكتفين ويفعل برجليه مثل ذلك فاذا قطعت الاطراف جدع انفه وصلمت اذناه واخرجت عيناه ثم ينهش لحمه وجلده بالمشاط من الحديد حتى يعرق عظمه ولحمه ويصير كالشاة التي جرد القصاب جلدها ويفعل ذلك به حياً وقد ابطل الامبراطور هذا العقاب مؤخراً .

وبالجملة فان انواع القتل كثيرة وعدد ما لم تنته الينا معرفته وذكر ياقوت في معجم الادباء ان رجلاً من احد ابو العباس الصوفي شهد الحرب مع يزيد بن المهلب وان يزيد اوجد مقتولاً بلا طعنة ولا ضربة انسدت اذناه ومنخراه وامتلأ فمه غبار العسكر فات ولا يعرف منه قتيل غبار . فلنا ومثله قتيل الدخان

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره   تنوعت الاسباب والموت واحد